
احمد صليحة
حول العالم
كندا

حول العالم



أحمد صليحة

الناشر

رقم الإيداع : ٤٦٨٢ / ٩٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-068-1

منف للنشر والخدمات الإعلامية



خليج بفن
خليج هدسن
كندا
لبرادور
ج ڤنكوڤر
سياتل
بورتلند
صولت ليك سيتي
دنفر
سان فرنسيسكو
لوس انجلوس
سان بول
شيكاجو
سنت لويس
الولايات المتحدة الامريكية

كندا عبر الزمان

« ... رست بنا السفينة قبالة بقعة خلابة تقع بين ربوتين صغيرتين لكنهما مرتفعتان، وبينهما يجرى نهر عظيم الاتساع يفيض بمائه فى المحيط فى مصب عميق الغور ... ثم صعدنا بقارب صغير إلى أعلى النهر حتى هبطنا فى أرض كثيفة السكان، يغطى أهلها أجسامهم بريش مختلف الألوان . وعندما رأونا أقبلوا علينا مهللين فى دهشة وفرح وأرشدونا إلى بقعة آمنة لكى نرسو عليها »

هكذا وصف الملاح الإيطالى جيوفانى دا فراتسانو لقاءه الأول بالهنود الحمر من سكان أمريكا الشمالية قبل خمسة قرون تقريباً عندما أوفده الملك فرانسوا الأول لاستكشاف الساحل الشرقى للقارة الجديدة التى سميت على اسم مواطنه امريجو فاسبوتشى والتى كان كريستوفر كولومبوس، وهو إيطالى آخر، قد اكتشفها بالصدفة أثناء محاولته الدوران حول الكرة الأرضية من الغرب إلى الشرق بهدف الوصول إلى الساحل الشرقى للهند . ومن الطريف أن كولومبوس لم يتنبه لهذا الإكتشاف، وظن خطأ أنه وصل إلى الهند بالفعل .

ونتيجة لهذا الخطأ سمى سكان العالم الجديد بالهنود ووصفوا بالحمر بناء على لون بشرتهم، وظل هذا الإسم لصيقًا بهم حتى بعد أن تبين خطأ هذه التسمية . ورغم هذا فقد كان الموطن الأصلى لهؤلاء السكان هو آسيا مثل الهنود الحقيقيين، وقد غادروا أرضهم إلى أمريكا الشمالية قبل ٢٠ ألف عام من سيبريا عبر آلاسكا عبر المنطقة المعروفة الآن بمضيق بيرنج، وكانت فى الماضى قطعة من اليابسة قبل أن تبتلعها أمواج البحر .

وانقسم هؤلاء الأقوام الجدد إلى ثلاثة أقسام، سكان المناطق المتجمدة فى آلاسكا وشمال كندا، وهم الاسكيمو الذين عاشوا على صيد الأسماك والفقمة والدببة وبنوا بيوتهم من الجليد . وسكان أمريكا الشمالية، وكانوا من البدو الذين عاشوا على الصيد وجمع الطعام، أما سكان أمريكا الوسطى والجنوبية من الأزتيك والأنكا وغيرهم، فقد عرفوا الزراعة وأسسوا المدن وأقاموا حضارة راقية وابتكروا نظامًا للكتابة التصويرية وبنوا أهرامات عالية كقدماء المصريين .

وكان أول اتصال لهم بأوربا منذ أكثر من ألف عام تقريبًا، عندما

اكتشف محاربو الفايكنج السواحل الشمالية الشرقية لكندا الحالية، ولكنهم لم يجدوا فى تلك الأرض الجليدية النائية اغراء يدفعهم إلى مواصلة استكشافها، فقد كان هؤلاء المحاربون لا يسعون إلا للبحث عن الذهب، فعادوا أدراجهم إلى موطنهم فى النرويج ليواصلوا منه شن غاراتهم الدموية على جيرانهم .

وعلى النقيض من الفايكنج الدمويين، كان استقبال الهنود الحمر وديًا للمستكشفين الأوائل من الإيطاليين والأسبان والبرتغاليين ثم الانجليز والفرنسيين، حسبما سجل هؤلاء المستكشفون



الطواطم الهندية تنحت فى جذوع الأشجار فى هيئة حيوانات وطيور خرافية

أنفسهم، ولم يبدأ الصراع إلا حينما اتضحت نواياهم الاستعمارية، لكن البندقية والمدفع حسما المعركة منذ البداية، وتقوضت حضارات السكان الأصليين ودمرت مدنهم وهدمت معابدهم ونهبت كنوزهم، ثم استعبدوا للعمل فى المزارع، أو أقصوا عن ديارهم لكى يبنى الرجل الأبيض مدنه ويقيم مزارعه.

وقد ركز الأسبان والبرتغاليون جهودهم على أمريكا الجنوبية التى بدت فى أعينهم قارة عظيمة الثراء، فإلى جانب كنوز الأزتيك والإنكا ومناجم الفضة التى اكتشفوها، كان السكان الأصليون على درجة من الحضارة يمكن معها الانتفاع بهم كمزارعين وصناع وعمال ورعاة فى خدمة المستوطنين الجدد، بينما بدت لهم أمريكا الشمالية أرضاً موحشة فقيرة تسكنها قبائل بدائية يصعب استغلالها لتعمير أراضيها .

وكانت هذه الأرض من نصيب الانجليز والفرنسيين، الذين بدأوا فى استكشافها فى القرن السادس عشر، وكان أول من اجتذبهم العالم الجديد تجار الفراء الذين حققوا ثروات ضخمة من الاتجار مع الهنود الحمر، لا سيما فى منطقة خليج هدسون ونهر سانت



قطعان الرنة فى طريقها إلى الجنوب لتلتمس الدفء

لورنس، وكذلك الجماعات الدينية المتشددة التى عرفت باسم «البيوريتانيين» أو « المتطهرين » والتى وجدت فى هذه الأرض النائية الفرصة لتأسيس عالم جديد على مثلها وقيمها .

وأسس الفرنسيون أول مستعمرة لهم فى عام ١٦٠٤ فى عهد الملك هنرى الرابع على الساحل الشرقى لكندا الحالية، وبعدها بستة عشر عامًا حملت السفينة الشهيرة «ماى فلاور» أول جماعة من

البيوريتانيين ليؤسسوا مدينة بلايموت على الساحل الشرقى للولايات المتحدة الحالية .

وقد بدأ النزاع بين انجلترا وفرنسا على ملكية هذه الأرض منذ فترة مبكرة، فأطلق عليها فرانسوا اسم فرنسا الجديدة، وأعلن الملك لويس الرابع عشر ضمها إلى أراضى التاج الفرنسى سنة ١٦٦٣، بينما أسس الانجليز فى عام ١٦٧٠ شركة خليج هدسون لاستغلال أراضى المنطقة . ولكن الغلبة العددية كانت فى صالح الانجليز، إذ لم يزد عدد المستوطنين الفرنسيين على ١٠ آلاف بعد انقضاء مائتى عام على اكتشاف أمريكا ولم يتجاوز ٦٥ ألفا فى القرن الثامن عشر .

وكان لذلك التفوق العددى أثره فى الانتصارات التى أحرزها الانجليز، وانتهت الحروب بين البلدين بمعركة دموية فى المنطقة المعروفة باسم « سهل ابراهيم » لقى فيها كلا القائدين الانجليزى والفرنسى حتفهما، ولكن الانجليز احرزوا فيها نصراً مؤزراً، وفقد الفرنسيون بعدها جميع ممتلكاتهم فيما عدا أرخبيل سان بيير وميكلون .

وكان على المستوطنين الفرنسيين أن يقسموا يمين الولاء لانجلترا إذا أرادوا البقاء فى أرضهم، وقد رفضت أقلية منهم ذلك، فحكم عليهم بالنفى إلى الجنوب فى منطقة لويزيانا (بالولايات المتحدة اليوم) ومنهم ينحدر الأمريكيون الناطقون بالفرنسية (٨٠٠ ألف اليوم) . ولم يحرم المستوطنون الفرنسيون من شغل المناصب العامة، وكان على من يرغب منهم فى شغل أحد هذه المناصب أن يتخلى عن عقيدته الكاثوليكية .

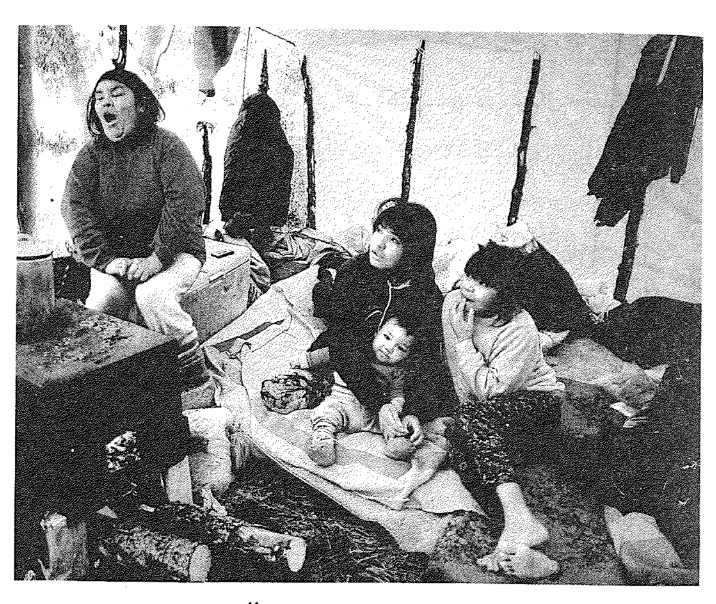
وعقب ذلك بسنوات قليلة نشبت الثورة الأمريكية فى المستعمرات الجنوبية التى نجحت فى إجبار انجلترا على الإعتراف باستقلالها . وقد فشل الثوار الأمريكيون فى اجتذاب أبناء المستعمرات الشمالية إلى صفوفهم بينما لزمت المستعمرات الفرنسية الحياد، وحاول الثوار غزو الشمال ولكنهم انسحبوا بعد أن عجزوا عن الاستيلاء على كيبك أكبر هذه المستعمرات وفى عام ١٧٨٣ عقدت انجلترا مع الاتحاد الفيدرالى الأمريكى (الولايات المتحدة) معاهدة لترسيم خط الحدود بينهما، ثم تجددت الحرب بين البلدين بعد ثلاثة عقود، وانتهت بتوقيع اتفاقية عام ١٨١٧ رسمت خط الحدود النهائية بين المستعمرات الشمالية التى حافظت على ولائها لانجلترا

والولايات المتحدة .

وكانت هذه هى آخر الحروب الأمريكية الكندية، إذ اتجه كلا الجانبين إلى التوسع غربًا صوب المحيط الهادى، لا سيما بعد اكتشاف الذهب بوفرة فى تلك المناطق، الأمر الذى ساعد على زيادة تدفق المهاجرين إلى العالم الجديد وأدى إلى البدء فى إعمار الغرب .

وفى ذات الوقت خفف الانجليز من قبضتهم على المستعمرات، وانتهجوا سياسة متسامحة مع الأقلية الفرنسية فسمحوا لهم بالحفاظ على عقيدتهم وثقافتهم ولغتهم، ومازالت هذه الثنائية الثقافية واللغوية (الفرنسية والانجليزية) خصيصة هامة للحياة فى كندا، وبدلا من أن تؤدى هذه الازدواجية اللغوية والثقافية إلى إضعاف الروح القومية، فقد أثرت الحياة بخير ما فى تلك الثقافتين الأوربيتين العظميتين .

ومع تعاظم قوة الولايات المتحدة، خشيت انجلترا من أن تبسط هيمنتها على المقاطعات الشمالية الخمس (كندا فيما بعد) التى ظلت على ولائها لها، ولذا لجأت فى عام ١٨٦٧ إلى جمعها فى



السكان الأصليون من الهنود الحمر
فى إحدى قرى الشمال المخصصة لهم

اتحاد فيدرالى على غرار الاتحاد الأمريكى مع بقائها جزءاً من الامبراطورية . وأصبح لكل ولاية حكومة مسؤولة عن شؤونها الداخلية، وتأسست مدينة أوتاوا لتكون عاصمة اتحادية تضم مجلساً للنواب ينتخب أعضاؤه من الولايات المختلفة كل حسب عدد سكانها .

وبدأ عقب ذلك تنفيذ مشروع سكة حديد مونتريال - فنكوفر الذى ربط الساحل الشرقى بالغربى (٣٢٠٠ كم)، وانتهى العمل فيه عام ١٨٨٥ .

ونتيجة لارتباطها ببريطانيا، فقد خاضت كندا غمار الحرب العالمية الأولى، وقدمت فيها تضحيات هائلة، حيث جند من أبنائها ٦٠٠ ألف مقاتل، وهو عدد هائل بالنسبة لعدد سكانها آنذاك (٨ ملايين نسمة) . ولكن هذه الحرب أخرجت كندا من عزلتها الدولية، حيث وفرت لها مقعداً فى مؤتمر السلام الذى تلاها، وسمحت لها بعضوية عصبة الأمم، وهى الهيئة الدولية التى سبقت منظمة الأمم المتحدة .

وفى ١٩٢٦ أعلنت كندا فصم جميع روابط التبعية ببريطانيا العظمى، ولكن مواطنيها ظلوا يحتفظون بجنسيتهم البريطانية، وتبعًا لذلك دخلت الحرب العالمية الثانية مع بريطانيا بعد ٨ أيام فقط من إعلانها . وعقب إنتهاء الحرب قررت كندا الاستعاضة عن الجنسية البريطانية بالجنسية الكندية وتحول أهلها تبعًا لذلك إلى مواطنين كنديين، ولكنها احتفظت بالعلم البريطانى حتى عام ١٩٦٤ .

وقد ظلت كندا تعتمد على بريطانيا فى شؤون الدفاع حتى الحرب العالمية الثانية، فبعد سلسلة الهزائم القاسية التى تعرضت لها جيوش بريطانيا فى أوربا والشرق الأقصى على أيدى الألمان واليابانيين لجأت كندا إلى توثيق التعاون العسكرى مع منافستها القديمة، الولايات المتحدة، فعقدت معاهدة دفاع مشترك معها عام ١٩٤١، ثم انضمت إلى حلف شمال الأطلنطى منذ تأسيسه عام ١٩٤٩، وظلت طيلة سنوات الحرب الباردة تعتمد على مظلة الدفاع النووية الأمريكية .

ولا تقتصر الروابط على الشؤون العسكرية، فالاستثمارات الأمريكية فى مجالات الصناعة والتعدين هائلة، وربما تفوق الاستثمارات الكندية نفسها، كما أن التليفزيون الأمريكى يغطى بشبكاته الأراضى الكندية، وأسلوب الحياة يكاد يكون واحداً فى كلا البلدين، فكلاهما شعب حديث نسبياً يتألف معظمه من المهاجرين الأوربيين الذين دفعتهم روح الجرأة والمغامرة إلى اقتحام ذلك العالم الجديد، ورغم هذا فالكنديون يشعرون بأنهم أمة واحدة متميزة تجمعها روابط قوية بانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، ولكنها تظل حريصة على وحدتها واستقلالها .

كندا عبر المكان

تعتبر كندا من أكبر بلدان العالم وأقلها كثافة سكانية فى ذات الوقت، فمساحتها ٩٩٧١٥٠٠ كم مربع، بينما عدد سكانها يقدر بحوالى ٢٧ مليون نسمة، أى أنها تعادل قارة أوربا بأكملها فى مساحتها، بينما يقل سكانها عن نصف تعداد سكان مصر . ولكن جزءاً لا يستهان به من أرضها تغطيه الثلوج طيلة العام أو أغلب شهور السنة، إذ أن كندا تحتل القسم الشمالى من قارة أمريكا الشمالية (فيما عدا ولاية آلاسكا الأمريكية)، وتمتد أراضيها حتى المحيط المتجمد الشمالى . وفى أرضها يقع القطب المغناطيسى، الذى تشير إليه ابرة البوصلة (على بعد بضع مئات من الكيلومترات من القطب الشمالى الحقيقى).

ويمتد الساحل الكندى لمسافة ١٨٨ ألف كيلو متر من المحيط الأطلنطى فى الشرق حتى المحيط المتجمد فى الشمال فالمحيط الهادئ فى الغرب مروراً بولاية آلاسكا الأمريكية . أما من الجنوب فتحدها الولايات المتحدة الأمريكية، وتمتد الحدود بين البلدين من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادئ مسافة ٦٤١٦ كم، وهى بذلك



أطول خط حدود بين دولتين فى العالم، ويخترق خط الحدود اقليم البحيرات العظمى وشلالات نياجرا فى الشرق وسهول البرارى فى وسط القارة وجبال روكى الشاهقة فى الغرب.

وتنقسم كندا إلى ١٠ مقاطعات لكل منها حكومة ومجلس تشريعى ومنطقتين إداريتين (الأراضى الشمالية ويوكون) تديرهما الحكومة

فى فصل الصيف القصير تذوب ثلوج جبال الشمال وتفيض مياه الأنهار فتغرق الأرض

الفيدرالية مباشرة من العاصمة الاتحادية أوتاوا .

وتغطى الغابات حوالى ٤٠٪ من مساحة البلاد، وتمتد على هيئة حزام سميك من المحيط إلى المحيط جنوبى الدائرة القطبية، وتعتبر كندا من أكبر منتجى الورق فى العالم، وهى تنتج ٤٠٪ من ورق الصحف، كما أنها ثانى منتجة فى العالم لعجينة لباب الشجر.

ولكن الأخشاب ليست إلا جزءًا يسيرًا من ثرواتها الطبيعية، فمساحة الأرض المزروعة هناك تقدر بـ ٧٠ مليون هكتار (الهكتار يعادل فدانين ونصف تقريبًا)، وتعتبر ثانى بلد مصدر للقمح فى العالم، ويضاف إلى ذلك ١٢ مليون رأس من الماشية، وهى أكبر مصدر للأسماك فى العالم، ويبلغ انتاجها من الصيد حوالى مليون و ٢٥٠ ألف طن .

كذلك حبت الطبيعة هذه الأرض بثروة معدنية هائلة، إذ تنتج كندا ٥ر٢٦٪ من الإنتاج العالمى للنيكل، كما أنها ثالثة بلدان العالم فى انتاج الذهب والفضة ورابعة بلدان العالم فى انتاج الرصاص والنحاس، وفضلاً عن ذلك فهى تحتل المرتبة الثانية فى انتاج اليورانيوم فى العالم، وتنفرد مقاطعة أنتاريو بـ ٣٧٪ من الانتاج المعدنى، وتليها مقاطعة كيبك (١٧٪) ومازالت كندا تعتمد إلى حد

كبير على ثرواتها الطبيعية الهائلة التى كفلت للمواطن الكندى مستوى فى المعيشة أعلى من نظيره فى الولايات المتحدة، الأمر الذى شجع على مزيد من الهجرة إليها (١٥٠ ألف مهاجر سنويًا)، ويؤمن الكثير من الكنديين بأن المستقبل سيكون لهم، وهو أمر متوقع، إذ أن مساحة الأرض المزروعة مثلاً لا تزيد على ٧٪ من مساحة أرضها، ولو أنها ضاعفت هذه المساحة، فلسوف تغرق الأسواق العالمية بالقمح والحبوب، وبوسعها، إن شاءت هى والولايات المتحدة واستراليا، أن توفر لفقراء العالم حاجتهم الأساسية من الطعام الرخيص، ولكن هذا يتطلب بالطبع نظامًا عالميًا أكثر إنسانية .

ويتركز السكان فى الاقاليم الجنوبية الشرقية لكندا، لأنها أكثر دفئاً من المناطق الشمالية، وأقدم عمراناً من المناطق الغربية، ومعظم سكان كندا ينحدرون من أصول أوربية (٤٥ ٪ من أصل بريطانى و ٢٩ ٪ من أصل فرنسى و ٢٣ ٪ من البلدان الأوربية الأخرى) أما السكان الأصلين من الهنود الحمر والاسكيمو فلا يمثلون سوى اقليات ضئيلة يضاف اليهم المهاجرون من الأصول غير الأوربية، ومن أهمهم العرب السوريون واللبنانيون والمصريون،

واللغات الرسمية هى الانجليزية والفرنسية، ولكن للفرنسية الغلبة فى بعض المناطق الشرقية وأهمها مقاطعة كيبك التى ينحدر معظم سكانها من أصل فرنسى .

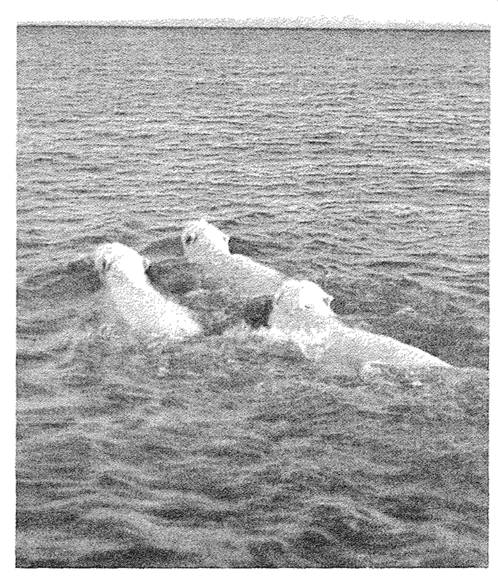
وكندا دولة علمانية لا تتعصب لدين معين، معظم سكانها من المسيحيين، ونصفهم تقريباً من الكاثوليك والباقى من الطوائف البروتستنتية إلى جانب اقليات من الارثوذوكس اليونانيين والأقباط المصريين، وينحدر معظم المسلمين من أصول عربية أو هندية / باكستانية .

الاسكيمو

لعل شعب الاسكيمو هو الدليل الحى على قدرة الإنسان على تحدى الطبيعة ومغالبة أقسى الظروف البيئية ضراوة وأشدها فقراً، وهم فى كندا أشبه ببدو الصحراء لدينا فى العالم العربى . ويعيش الاسكيمو فى المناطق القطبية الشمالية فى سيبيريا وآلاسكا وكندا وجرين لاند ويقدر عددهم فى كندا بـ ٢٥ آلف نسمة يعرفون باسم « الانويت » وهى كلمة تعنى فى لغتهم « البشر »

ولما كانت أرضهم تكسوها الثلوج على مدار العام، فلم يعرفوا

الزراعة أو الرعى، ولم يستأنسوا من الحيوان سوى الكلاب التى يستعينون بها فى الصيد وجر الزحافات . والصيد هو حرفتهم الرئيسية ففى فصل الشتاء يصطادون الفقمة والأسماك أما فى فصل الصيف فيرتحلون جنوباً ويصطادون الرنة .



الدببة القطبية تعبر خليج هدسون فى شمال كندا سباحة بعد أن ذابت ثلوج الشتاء

ويعيش الاسكيمو فى جماعات صغيرة تتألف كل منها من عدد من الأسر، وهم يبنون مساكنهم من كتل من الثلج على هيئة القباب وتعرف باسم الايجلو . ويتغذون بلحم الفقمة ويستوقدون بشحمها

ويستخدمون جلدها فى صنع الملابس والزحافات والمراكب . وأرضهم الثلجية لا تصلح للمركبات العادية، ولذا فوسيلة الموصلات الرئيسية كانت ولازالت فى المناطق النائية هى الزحافة التى تجرها الكلاب .



طفلة من الإسكيمو

ومن جلد الفقمة يصنعون الخيام التى يقيمون فيها فى فصل الصيف . وكانت أسلحتهم بدائية، لا تزيد عن الحراب والقوس والسهام حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما أغراهم تجار الفراء الأوربيون على التحول إلى صيد حيوانات الفراء ومقايضتها على السلع والأسلحة الأوربية، وأدى استخدام البنادق إلى تناقص شديد فى أعداد الحيوانات البرية فى المناطق الشمالية فى كندا .

وفى القرن العشرين تحول جزء كبير منهم إلى العمل فى مناطق

التعدين واستخراج الغاز الطبيعى بعد التوسع فى استغلال الثروات المعدنية فى أراضيهم . ويعيش الكثير من أبناء الاسكيمو اليوم فى قرى حديثة مزودة بالمدارس والمراكز العلاجية وتغطيها شبكات الإذاعة والتليفزيون وترتبط بالداخل بخطوط المواصلات والطائرات .

الهنود الحمر

لم يتبق من الهنود الحمر سوى أعداد قليلة يعيش معظمهم فى مستوطنات خاصة تتراوح مساحتها بين نصف الهكتار و ١٣٠٠ كم مربع، ويقدر عدد هذه المستوطنات بحوالى ٢٢٠٠ مستوطنة أغلبها فى اقليمى الأراضى الشمالية ويوكون وكيبك . ويمارس الهنود فيها أساليب حياتهم التقليدية فيمارسون صيد الأسماك والحيوانات ومنهم من يربى حيوانات الفراء للاتجار فى فرائها بعد أن تناقصت أعدادها . وتعتبر هذه القرى من المزارات السياحية التى يقبل عليها أبناء المدن للفرار من ضوضاء الحضارة وصخب المدن العصرية . ومن أطرف معالم تلك القرى النصب الخشبية التى ينحتها الهنود من جنوع الأشجار العالية ويحلونها بصور متتابعة لمعبوداتهم المقدسة . وكان الهنود يمارسون فى الماضى فى

احتفالاتهم الدينية أنواعًا من الرقصات السحرية التى تهدف إلى التأثير على مظاهر الطبيعة خاصة اجتلاب المطر، ومنها رقصات أخرى يؤدونها قبل الخروج إلى الصيد أو الحرب .

وقد خاض المستوطنون البيض فى أمريكا الشمالية حروبًا طويلة على مدار ثلاثة قرون ضد قبائل الهنود حتى تمكنوا من إخضاعهم لأمرهم . وقد ساعد على ذلك انتشار الأمراض التى حملها المستوطنون من أوربا إلى تلك الأرض العذراء، ففتكت بأهلها فى ضراوة لا تقل عن ضراوة الأسلحة النارية، وقد تناقص عدد الهنود من ٩٠ مليونا عند اكتشاف أمريكا إلى ٩ ملايين نسمة أو أقل فى الوقت الحاضر . وقد عمدت كندا إلى حل المشكلة الهندية فى عام ١٨٧٦ بإصدار قانون يقضى بإعفاء الهنود من الضرائب ومنحهم مساعدات مالية وطبية خاصة إذا التزموا بالبقاء داخل المستوطنات المحددة لهم .

ولكن هذه النظرة العنصرية تغيرت فى منتصف القرن العشرين، حيث منح الهنود حق التصويت فى الانتخابات العامة، وبذلك اكتملت لهم كافة حقوق المواطنة . وعمد الكثيرون منهم، وعلى نحو



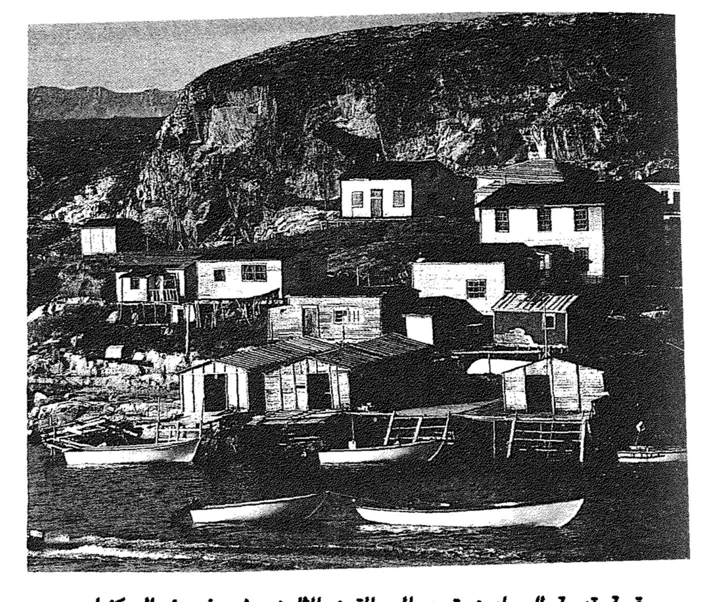
سحابات الضباب تزحف على الساحل الشمالى مبشرة بمقدم الشتاء حيث تجتاحه العواصف والثلوج طيلة هذا الفصل

متزايد، إلى الهجرة إلى المدن والقرى الكندية حيث تتوافر فرص أفضل للعمل وأجور أعلى . ولكن هذا لا يعنى أن المشكلة الهندية قد حلت بأكملها إذ أن سنوات العزلة والتقاليد المختلفة تجعل من الصعب على المواطن الهندى التكيف مع الأسلوب الغربى فى المعيشة، فضلاً عن أن الكثير من الهنود يفتقرون إلى المهارات

اللازمة للصناعة الحديثة، مما لا يتيح لهم الفرصة للالتحاق بالوظائف الدائمة، الأمر الذى أدى إلى تفشى البطالة بين الشباب (٦٠ ٪) واعتمادهم بصفة كبيرة على الإعانات التى تقدمها لهم الدولة . لكن التطور الطبيعى وانتشار التعليم كفيل بحل هذه الأزمة التى تعترض دائمًا عمليات التحول الكبرى .

نيو فوندلند

على الرغم من الدلالات التى يوحى بها اسم هذه المقاطعة (الأرض حديثة الاكتشاف) لكن اكتشافها ربما يسبق اكتشاف أمريكا نفسها بخمسة قرون، إذ يعتقد أن ملاحى الفايكنج قد مروا بسواحلها عام ٩٨٦، ثم أعاد اكتشافها عام ١٤٩٧ الملاح الجنوى جيوفانى كابوتو الذى هاجر إلى انجلترا وعمل لحساب ملكها بعد أن غير اسمه إلى جون كابوت . وقد تنازع الانجليز والفرنسيون ملكيتها باعتبارها المدخل الحقيقى إلى كندا حتى خضعت لانجلترا نهائيًا فى عام ١٧١٣ بمقتضى معاهدة اوترشت، ثم انضمت إلى الاتحاد الكندى عام ١٩٤٩ لتؤكد بذلك سيادة كندا الكاملة على أراضيها .



قرية قديمة للصيادين تعود إلى القرن الثامن عشر فى شمال كندا

وتتألف المقاطعة من جزء من الساحل الشمالى لكندا (لبرادور) ومجموعة من الجزر، أكبرها جزيرة نيوفوندلند التى تشرف على مصب نهر سانت لورنس (سان لوران) الذى يعتبر من أهم الطرق الملاحية التى تقود إلى منطقة البحيرات العظمى فى قلب القارة . ولا يزيد عدد سكان المقاطعة على نصف مليون نسمة خمسهم تقريباً يعيشون فى العاصمة سانت جونز، وأكبر مدنها الأخرى جراند فولز (١٥ ألف نسمة) وكورنر بروك (٣٢ ألف

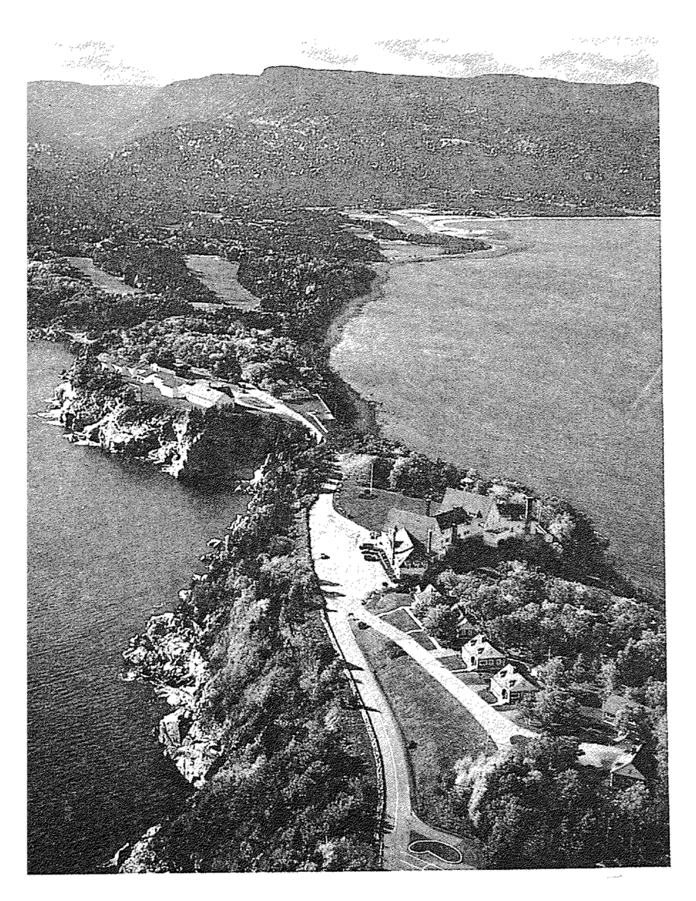
نسمة) اللتان تعتبران من مراكز صناعة الورق الهامة، ولكن الكبر هنا نسبى، فالكثافة السكانية لا تزيد على ٥ أفراد فى الكيلو متر المربع، ويعيش معظم السكان فى مجموعة كبيرة من القرى الساحلية التى يحترف أهلها صيد الأسماك، فالمياة المحيطة بهذه الجزر تعتبر من أغنى مصايد الأسماك فى العالم بسبب قربها من مصب نهر سانت لورنس ووقوعها على مسار تيار لبرادور البارد .

ويفصل مضيق ضيق هذه الجزر عن ساحل لبرادور الذى استمد اسمه من التيار البحرى البارد الذى يمر بحذائه وتبلغ قوة هذا التيار عند بدايته ٤ ملايين متر مكعب فى الثانية، وترتفع الأرض فى هيئة هضبة صخرية تكسوها الثلوج فى معظم شهور العام، إذ أن درجة الحرارة فى فصل الصيف نادراً ما تزيد على ١٥ درجة مئوية أما فى فصل الشتاء فتنخفض إلى ٣٠ درجة تحت الصفر، ولا يزيد سكان المنطقة على ٥٠ ألف نسمة موزعين بين مقاطعتى نيوفوندلند وكيبك، ومعظمهم من الاسكيمو والخلاسيين والقليل منهم من البيض . وتقع مدينة ليبرادور نفسها فى الداخل بعيداً عن الساحل، ولا يزيد عدد سكانها على ١٥ ألف نسمة .

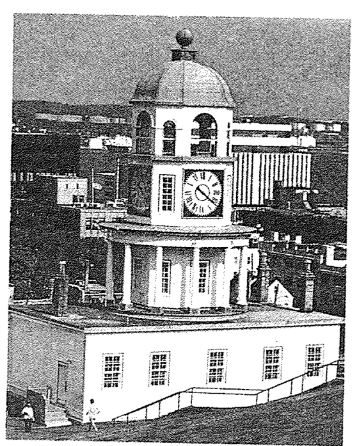
ويعيش الاسكيمو على صيد الحيوانات البحرية والأسماك فى فصل الشتاء، أما فى فصل الصيف القصير، فيعمدون إلى صيد حيوانات الفراء وأهمها الفيزون والثعالب القطبية والثعالب الزرقاء . وتكمن أهمية المنطقة فى طبقات الحديد الضخمة التى اكتشفت فى أراضيها والتى بدأ استغلالها فى عام ١٩٥٤، كما تستغل مساقط المياه فيها لتوليد الكهرباء وأهمها منطقة شلالات تشرشل التى تستخدم لتزويد مقاطعة كيبك بالطاقة الرخيصة . وتعتمد كندا إلى حد بعيد على الطاقة الكهربائية المولدة من المساقط المائية حتى أن كلمة « هيدرو » بمعنى الماء تستخدم هناك بدلاً من الكهرباء .

خليج سانت لورنس

يعتبر نهر سانت لورنس من أعظم أنهار الدنيا إذ أنه يعادل فى حجمه مجموع مياه أنهار النيل والفولجا والدانوب ويبلغ اتساعه عند المصب ١٤٥ كيلومتراً، فلا عجب أن أهالى المنطقة يشيرون إليه باسم البحر . وهو طريق ملاحى هام يمكن أن تبحر فيه بسهولة سفينة ضخمة حمولتها ٢٥ ألف طن وينبع هذا النهر من منطقة البحيرات العظمى التى تمثل شلالات نياجرا الهائلة جزءاً



منطقة كابوت تريل فى نوفاسكوتيا



قلعة هليفاكس

منها ويصب النهر فى خليج متصل بالمحيط الأطلنطى بعد أن يقطع رحلة طولها أكثر من ألف كيلو متر عبر الأراضـى الأمـريـكـيـة والكندية .

ويضم خليج سانت لورنس مجموعة من الجزر الضخمة التى اكتشفها الملاح الفرنسى جاك كارتيه عام ١٥٣٤ أهمها جزيرة أنتى كوستى التى توصف بمقبرة الخليج نظراً لكثرة السفن التى غرقت فى مياهها بسبب كثرة الشعب المرجانية والصخور الحادة هناك وإلى الجنوب منها تقع جزيرة سان جان التى استولى عليها الانجليز عام ١٧٥٨ وغيروا اسمها إلى جزيرة الأمير إدوارد على اسم والد الملكة فيكتوريا، وهذه الجزيرة هى أصغر مقاطعات الاتحاد الكندى، ولا يزيد سكان عاصمتها تشارلوت تاون على ٢٥ ألف نسمة، ولكنها مزار تاريخى

هام لأن هذه المدينة كانت مهد فكرة الاتحاد الكندى .

وتوصف هذه الجزيرة بأنها حديقة الخليج نظراً لخصوبة أرضها ووفرة انتاجها الزراعى ومعظم سكانها ينحدرون من المزارعين الايرلنديين والأسكتلنديين الذين هاجروا إليها فى القرن التاسع عشر، وعلى النقيض منها جزر أرخبيل المدين التى تقطنها أغلبية فرنسية، ويعمل معظم سكانها بصيد الأسماك .


وعل الموس بقرونه الرمحية فى المناطق الجبلية التى تكسوها النباتات
المناطق الجبلية التى تكسوها النباتات

وإلى الجنوب منها تقع مقاطعة « نوفاسكوتيا » وهى كلمة لاتينية تعنى اسكتلندا الجديدة وقد سميت بهذا الاسم لأن جيمس الأول ملك انجلترا (الذى ورث عرش اسكتلندا عن أمه الملكة مارى) قد



أقطعها لأحد نبلائه عام ١٦٢١، أما الفرنسيون فقد أطلقوا عليها إسم أركاديا واستوطنوها حتى استولى عليها الانجليز نهائياً عام ١٧١٣، وقد رفض أهلها أن يقسموا يمين الولاء لبريطانيا، فنفى منهم الانجليز ١٠ آلاف وأحلوا مكانهم مستوطنين من انجلترا وألمانيا واسكتلندا وأيرلندا والأمريكيين الذين حافظوا على ولائهم للعرش البريطانى فهاجروا من الولايات المتحدة بعد استقلالها .

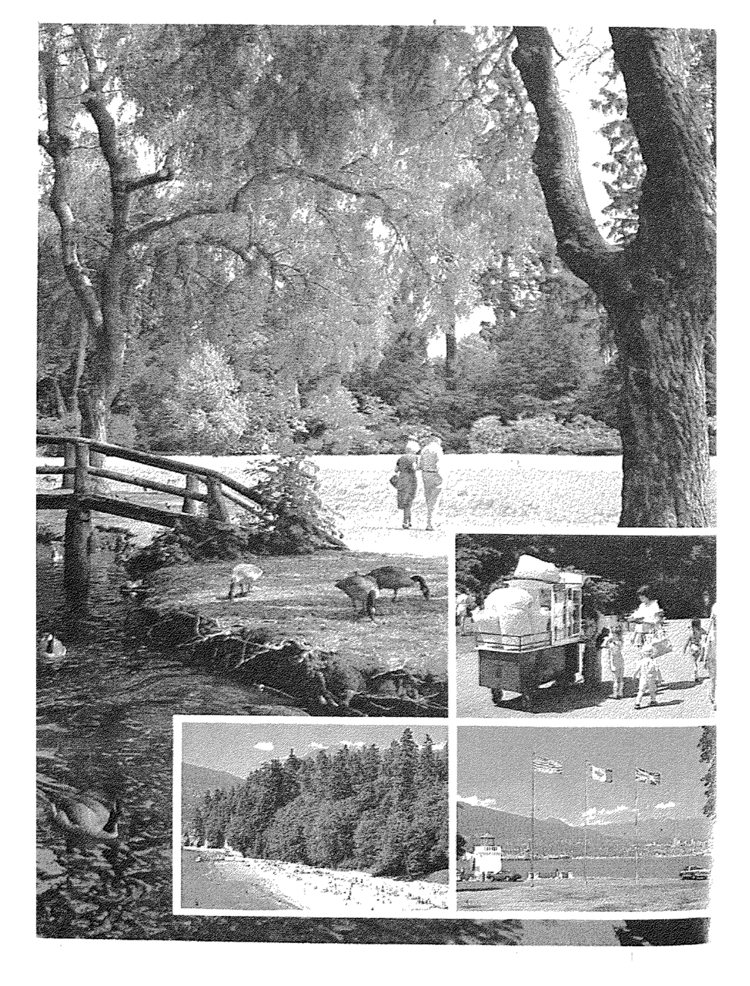
وتتألف المقاطعة من شبه جزيرة صغيرة، إلى الشمال منها تقع جزيرة كاب برتون، وتغطى الغابات مساحات كبيرة من أرض

المقاطعة حيث يعمل سكان المناطق الداخلية فى قطع الأخشاب وصناعة الورق، ويمتاز الساحل بكثرة تعاريجه ووفرة خلجانه مما ساعد على نمو الكثير من مراكز صيد الأسماك، أما العاصمة، مدينة هاليفاكس، فهى ميناء نشط ومركز لتكرير البترول وصناعة السيارات .

وعلى النقيض من هذه المدينة الحديثة يمكن للمرء أن يعود فى الزمن إلى الوراء ثلاثة قرون إذا زار جزيرة كاب برتون، حيث أقام الفرنسيون قلعة عام ١٧١٩ لحماية هذه الجزيرة التى تتحكم فى مصب سانت لورنس، المدخل الطبيعى لاقليم كيبك الفرنسى . وقد أعادت السلطات المحلية مؤخرًا بناء هذه القلعة أو المدينة المحصنة لتكون متحفًا حيًا يصور أسلوب المعيشة فى المستعمرات القديمة، فالبيوت والملابس والمزارع وحتى أزياء الجنود صممت بطراز القرن الثامن عشر .

كيبك

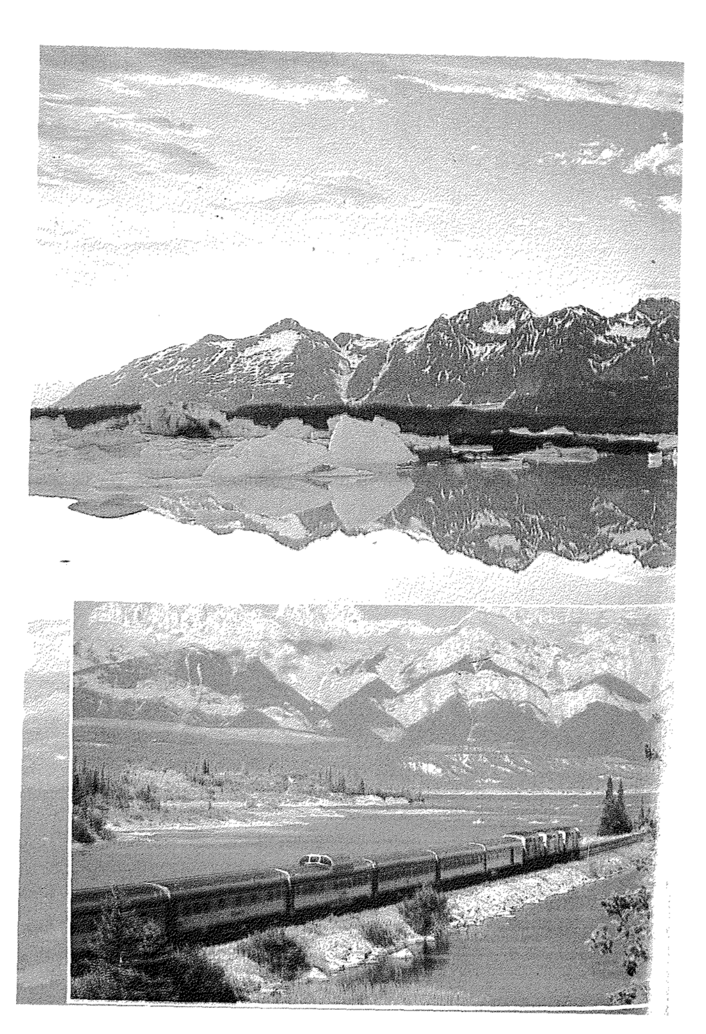
يخترق نهر سانت لورنس (أو سان لوران كما ينطقه أهالى كيبك) مقاطعة كيبك (أو كويبك كما ينطقها الانجليز) أكبر



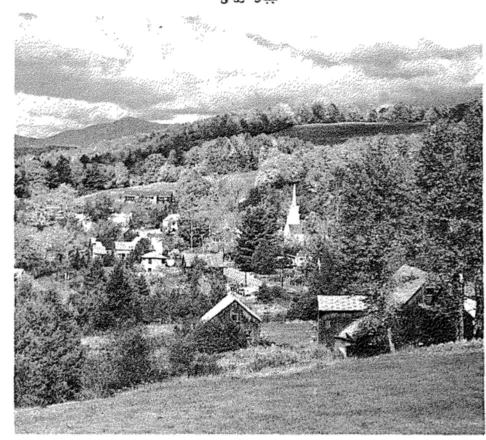


فندق فرونتناك فى كيبك

ميدان كارتيه فى قلب مونتريال القديمة



جبال روكى



القرى الكندية الساحرة وسط الغابات والمراعى

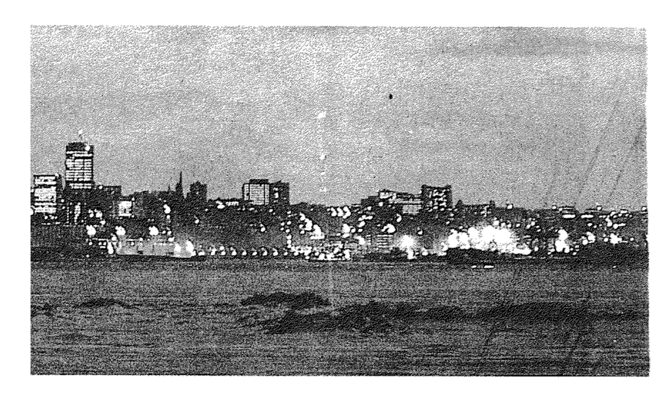


عازفو موسيقى القرب بالزى ا

المقاطعات الكندية ومعقل الثقافة الفرنسية فى العالم الجديد، ورغم أن مساحتها تعادل ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا لكن عدد سكانها أقل من ٧ ملايين نسمة، وهو ما يعادل تقريباً $\frac{١}{٨}$ سكان فرنسا التى قدم منها المستوطنون الأوائل، وتبلغ نسبة الناطقين بالفرنسية ٨٠٪ من سكانها، والباقى من الناطقين بالانجليزية .

وقد أسس الفرنسيون كيبك على ربوة عالية (١٠٠م) تشرف على نهر سانت لورنس من ضفته اليسرى، ومن هذه الربوة اشتقت اسمها كيبك أى الصخرة، وقد أصبحت عاصمة مقاطعة فرنسا الجديدة حتى استولى عليها الانجليز عقب موقعة سهل ابراهيم (١٧٥٩) التى دارت على أرضها، وقد أقيم نصب تذكارى فى نفس السهل تكريما للقائدين الفرنسى والبريطانى اللذين قتلا فى نفس الموقعة .

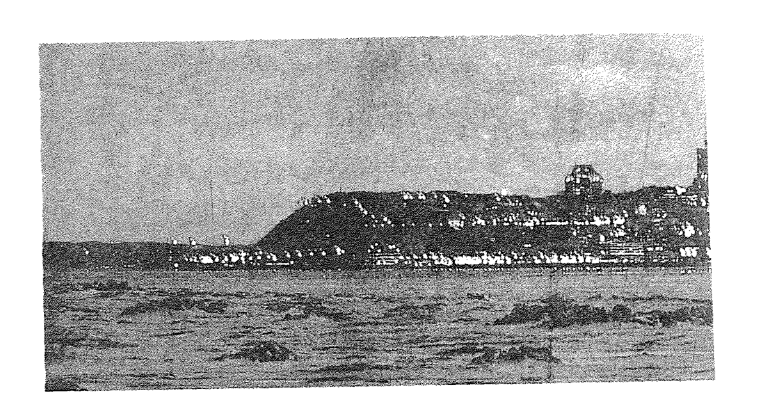
وتمتد أراضى المقاطعة شمالاً حتى ساحل لبرادور وخليج هدسون الذى يشكل حدها الغربى، ومن الجنوب تحدها ولاية انتاريو الكندية، أما من الشرق فتحدها الولايات المتحدة . والجزء الشمالى منها تكسوه الثلوج معظم شهور العام وتنمو إلى الجنوب



مدينة كيبك

منه أحزمة شاسعة من الغابات التى تستغل لصناعة الورق وعجينة اللباب التى تصدر كخام إلى الخارج لصناعة الورق .

وتستغل المجارى المائية السريعة لنقل جنوع الأشجار- بعد قطعها - إلى المناشير ومصانع الورق التى بنيت خصيصاً لذلك على ضفاف الأنهار، ويستغل اندفاع الماء فى كثير من الأحيان كقوة محركة لآلاتها . وتقطع الأشجار الضخمة بمناشير آلية، ثم تدحرج إلى الأنهار أو القنوات الصناعية القريبة التى تحفر لذلك الغرض، ويتولى توجيهها رجال مدربون، وترتب الجنوع فى



مجموعات ضخمة تسير مع التيار، وتبدو الجذوع المتراصة للرائى كما لو كانت طوفًا عملاقًا سابحًا فوق سطح النهر، ويلبس العامل الذى يوجهها حذاءً خشنًا ذا نعل بارز المسامير حتى لا ينزلق فى الماء، ويستعين بعصًا طويلة ذات قمة مدببة معقوفة تمكنه من الإمساك بجذوع الشجر الهاربة إذا اندفعت بعيدًا مع التيار .

أما فى الجنوب فتسود السهول الفسيحة الخصبة التى تستغل في زراعة الحبوب، لاسيما القمح، والخضر والفاكهة، وتتناثر فى أرجائها قرى صغيرة اقيمت منازلها من الخشب، نظرًا لوفرته هناك، ومع هذا فهى تمتاز بالنظافة والأناقة، خاصة الكنائس التى

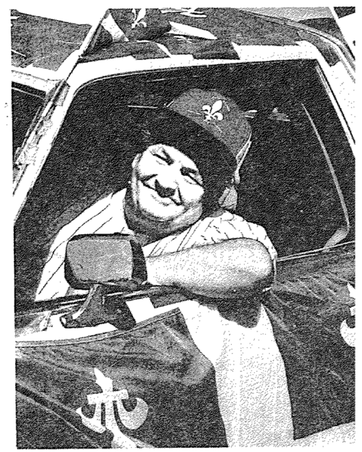
تنتشر فى كل مكان، ومعظم أهالى القرى من الناطقين بالفرنسية، أما الناطقون بالانجليزية فيتركزون أساساً فى المدن الكبرى .

وانتشار الكنائس فى كيبك لا يعبر فقط عن قوة العاطفة الدينية، بل هو كذلك دليل واضح على تمسك واعتزاز أهلها بثقافتهم الفرنسية التى تجسدها الكنيسة الكاثوليكية فى مقابل الثقافة البريطانية البروتستنتية . وتتضح هذه النزعة القومية فى علم كيبك الذى يتألف من صليب (يرمز إلى الكنيسة الكاثوليكية) والزهرة الثلاثية (رمز فرنسا)، فى مقابل ورقه السنديان رمز كندا .

وقد وصل هذا الميل عند البعض إلى نوع من التطرف، ففى مطلع الستينات ظهرت حركة انفصالية تدعو إلى استقلال المقاطعة عن كندا، ولجأت إلى تفجير القنابل والاغتيالات وكان من أبرزها حادثة اختطاف وزير العمل فى حكومة كيبك الاقليمية بيير لابورت ثم اغتياله على أيدى منظمة «جبهة تحرير كيبك» وقد ناصر الرئيس الفرنسى الراحل ديجول دعوى الاستقلال هذه علانية حتى أنه لم يتردد فى الهتاف بحياة استقلالها أمام الجماهير رغم ما ينطوى عليه تصرفه هذا من حرج سياسى كبير لكلا البلدين .

وفى عام ١٩٦٨ شكل رونيه لفسك حزب كيبك الداعى إلى الاستقلال، وفى عام ١٩٧٧، على اثر فوزه فى الانتخابات الاقليمية، صدر قانون يقضى بجعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية فى المقاطعة، ويمتد هذا إلى القانون والمعاملات التجارية والتعليم والاتصالات الخ ..

ورغم ذلك، لا يرحب الكثير من الكنديين الناطقين بالفرنسية بدعوى الانفصال، فرغم وفرة موارد اقليمهم لكن الانفصال عن كندا قد تكون له عواقب اقتصادية وخيمة سواء من حيث تضاؤل الاستثمارات الامريكية والكندية فى أراضيها، فضلا عن حرمان مواطنيها من الانتفاع بالثروات الطبيعية الهائلة التى تتوافر فى أقاليم كندا الأخرى الشاسعة . ولذا فقد خسر الانفصاليون الجولة الثانية فى الانتخابات عام ١٩٨٥ . وفى نفس الوقت أعلنت المقاطعات الناطقة بالانجليزية، فى محاولة لإرضاء النزعة القومية الفرنسية، بأنها تعترف بأن كيبك تمثل مجتمعًا متميزًا فى قلب المجتمع الكندى . ولكن الجدل ما زال قائمًا بين دعاة الانفصال والاتحاديين، ولم تحسم القضية بعد، وإن كانت الدعوى الانفصالية تبدو غريبة فى الوقت الذى تتجه فيه شعوب أوربا نفسها إلى



احد مواطنى كيبك يغطى سيارته بعلم المقاطعة المزين بالزهرة الثلاثية

الوحدة !

وتتجلى هذه النزعة القومية عند الاحتفال بعيد القديس جان بابتست، الذى كان المستوطنون الفرنسيون الأوائل يعتبرونه حاميهم، ففى هذا اليوم ترفع الأعلام الزرقاء ذات الصلبان البيضاء

راهبة من أصل فرنسى تلوح بالعلم القومى الذى يحمل ورقة السنديان معبرة عن ولائها للاتحاد الكندى

التى ترمز إلى كيبك، ويرتدى الشباب قمصانًا تحمل شعارات تتغنى بحب كيبك والثقافة الفرنسية صراحة أو تلميحًا، ولكن أطرفها شعار يقول : « إننى فخور بكونى ضفدع »، وهى كناية عن الأصل الفرنسى لأن الضفادع من الأطباق الشهية الفاخرة على المائدة الفرنسية .

مونتريال

إلى الجنوب من كيبك يضيق مجرى نهر سانت لورنس، ولكنه يظل صالحًا للملاحة حتى مدينة مونتريال التى تعتبر من أهم موانئ كندا رغم أنها تبعد عن المحيط الأطلنطى بأكثر من ألف كيلومتر .

وتقع مونتريال فى جزيرة وسط مجرى النهر، تهيمن عليها ربوة صخرية ترتفع فوق سطح الأرض بنحو ٢٣٥ م .

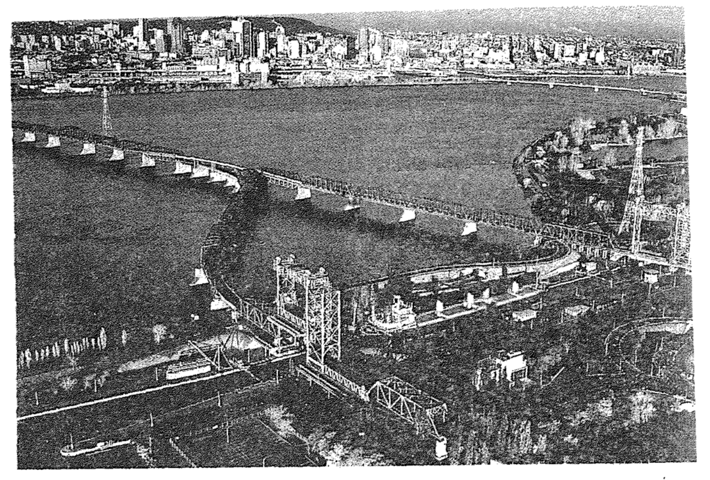
وقد اسماها شامبلين (الحاكم الفرنسى لكندا) مون رويال أى التل الملكى تكريمًا لملك فرنسا . وإلى الشرق منها تقع شلالات «لاشين » أو « الصين » بالفرنسية، ويقال إن السبب فى هذه التسمية أن المستكشف الفرنسى جاك كارتيه كان يعتقد أن مجرى

هذا النهر العظيم يؤدى إلى طرف القارة الآخر الذى يمكن منه الوصول إلى ساحل الصين دون الاضطرار إلى الدوران حول افريقيا، وهو الطريق الذى كان يخضع آنذاك إلى سيطرة البرتغاليين.

وقد توافد تجار الفراء الفرنسيين إلى تلك المنطقة للاتجار مع سكانها من الهنود الحمر الذين كانوا يطلقون على الجزيرة اسم هوشلاجا، وفى عام ١٦٤٢ استولى القائد الفرنسى ميزونوف على الجزيرة وقرر إقامة حصن أو مركز تجارى محصن تحت اسم فيل ماري (مدينة مريم العذراء)، ولكن اسم الربوة غلب عليها ثم حرف إلى الاسم الحالى الذى ينطقه سكان المدينة الناطقين بالفرنسية مونريال، بينما يلفظه الناطقون بالانجليزية مونتريال .

ويشكل الناطقون بالفرنسية ٦٥٪ من جملة سكان المدينة الذين يبلغ عددهم حوالى ٣ ملايين نسمة، وهى بذلك أكبر المدن الكندية، وثانى أكبر مدينة ناطقة بالفرنسية فى العالم بعد باريس .

وللمدينة طابع أوربى أنيق يتجلى فى شوارعها وملاهيها ومقاهيها ذات الطابع الفرنسى، ولذا يحلو للبعض أن يقارن بينها



مدينة مونتريال وأول هويس من سلسلة الأهوسة التى تساعد السفن على اجتياز المجرى الأعلى لنهر سانت لورنس

وبين باريس . ويعتبرها البعض عاصمة الثقافة الفرنسية فى العالم الجديد، إذ أن بها أربع جامعات، منها جامعتان ناطقتان بالفرنسية والأخريان الدراسة فيهما باللغة الانجليزية، ومنهما جامعة شهيرة تحمل اسم مؤسسها ماك جيل، وكان من أكبر تجار الفراء فى كندا فى القرن الماضى، ولكن الجامعة التى تحمل اسم المدينة نفسها تستخدم الفرنسية كلغة للتعليم .

ومن الظواهر اللافتة للنظر كثرة الكنائس التى يصادفها المرء أينما سار، حتى أن المدينة توصف أحيانا بمدينة الكنائس، وهى

ظاهرة لها أسبابها القومية كما أسلفنا . وأشهر كنائسها وأقدمها كنيسة نوتردام التى بنيت عام ١٦٧٢ ثم جددت فى القرن التاسع عشر على طراز الكنيسة الشهيرة التى تحمل نفس هذا الاسم فى باريس . ولكن شهرة المدينة مستمدة من موقعها فى عالم التجارة والصناعة، فبها ٦٠٪ من مجموع المصانع القائمة فى مقاطعة كيبك .

وتنخفض الحرارة فى الشتاء، فتتجمد المياه وتتحول الأنهار والبحيرات إلى مزالق للتزحلق على الجليد . وكان ميناء المدينة فى الماضى يتجمد فى الفترة من أكتوبر حتى فبراير، وتتحول التجارة إلى ميناء هاليفاكس فى مقاطعة نوفاسكوتيا . ولكن التقدم العلمى كفل الآن للمدينة استخدام كاسحات الجليد الضخمة لفتح الميناء وتطهير النهر من كتل الجليد .

والجزء الجنوبى من نهر سانت لورنس فيما وراء مونتريال ضيق نسبياً وملئ بالجزر ويعرف لذلك باسم نهر الألف جزيرة، وإن كان عدد الجزر يصل إلى حوالى ١٨٠٠ . وقد أقيمت سلسلة من القناطر والأهوسة لمساعدة السفن على مواصلة الرحلة أعلى النهر

حتى بحيرة أنتاريو، أولى البحيرات العظمى، والتى يرتفع منسوبها حوالى ٨٠ مترًا فوق منسوب مياه النهر عند مونتريال .

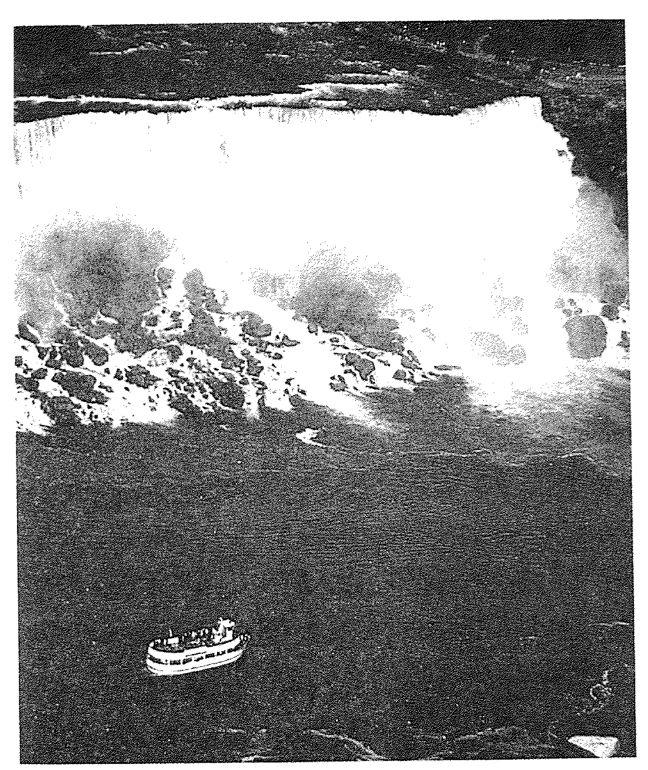
وعند هذا الحد نغادر أراضي كيبك أو كندا الفرنسية ونعود من جديد إلى كندا الانجليزية عندما ندخل فى مقاطعة أنتاريو .

البحيرات العظمى وشلالات نياجرا

تعادل مقاطعة أنتاريو مصر فى مساحتها، بينما لا يزيد عدد سكانها على ٩ ملايين نسمة، وهى تمتد من اقليم البحيرات العظمى جنوبًا حتى خليجى جيمس وهدسون شمالاً، ويفصلها نهر أوتاوا عن مقاطعة كيبك، أما الحدود بينها وبين الولايات المتحدة فتمر عبر نهر سانت لورنس والبحيرات العظمى حيث تقع شالالات نياجرا العظيمة .

والبحيرات العظمى خمس هى : سوبيريور وهورن وايرى وأنتاريو ومتشجان، والأخيرة تقع بكاملها فى أرض الولايات المتحدة، أما البحيرات الأربع الأخرى فيسير خط الحدود الأمريكية الكندية وسطها، ومنها ينبع نهر سانت لورنس العملاق .

وتغطى هذه البحيرات الخمس مساحة تقدر بحوالى ٢٤٥ ألف



شلالات نياجرا

كم مربع، وترتبط بسلسلة من القنوات الطبيعية والصناعية التي تيسر استغلالها في المواصلات والنقل، لاسيما الحاصلات الزراعية

والخامات المعدنية . وتعتبر المنطقة المحيطة بها من أكبر المناطق الزراعية والصناعية فى العالم نظراً لخصوبة أرضها ووفرة مياهها والطاقة الكهربائية الرخيصة التى وفرتها شلالات نياجرا .

تقع هذه الشلالات بين بحيرة ايرى وبحيرة أنتاريو حيث يسقط فى كل ثانية ٧ آلاف متر مكعب من الماء من ارتفاع يزيد على خمسين متراً . وينبع نهر نياجرا من بحيرة ايرى، ويكون المجرى عند بدايته متسعاً هادئاً نسبياً، لكنه يضيق وينحدر تدريجياً، ثم تقسمه جزيرة كبيرة فى منتصفه تعرف باسم جزيرة جوتس (الماعز) وهى بداية الشلال، ويتبع أحد القسمين الولايات المتحدة وعرضه ٣٢٨م، أما الكندى فيبلغ عرضه الضعف تقريباً .

ومن التقاليد الشهيرة فى أمريكا وكندا أن يذهب المتزوجون فى شهر العسل لزيارة الشلالات، ويقال إن أول من ابتدع هذا التقليد أحد أشقاء الامبراطور نابليون بونابرت الذى حضر إلى ذلك المكان عام ١٨٠٤ مع عروسه . وأياً كانت صحة هذه القصة، فعدد السائحين الذين يتوافدون لزيارة الشلال فى كل عام يصل إلى ١٣ مليون زائر، وقد اقيمت على كلا الجانبين الأمريكى والكندى

مدينتان تحملان نفس الاسم، نياجرا فولز، أى «شلالات نياجرا»، ويسلك الزائرون ممراً صخريا وراء الشلال يعرف بكهف الريح ويمكنهم منه أن يروا ستار الماء المنهمر الذى يسقط فى عنف ويدوى بأصوات كهزيم الرعد أو طلقات المدافع . وقد أقيم فى عام ١٩٤١ جسر بين الولايات المتحدة وكندا أمام الشلال، بحيث يمكن للزائرين مشاهدة سقوط الماء من الأمام والخلف .

وعندما يسقط الماء يندفع الرذاذ إلى أعلى فيشكل سحابة هائلة طولها لا يقل عن ٣٠ متراً، مما يضفى على المشهد روعة لا تنسى حينما تنعكس الشمس بأشعتها على الماء المتساقط . ويسير الماء بعد ذلك فى خانق ضيق حتى بحيرة أنتاريو . وقد حفرت في الجانب الكندى قناة ضخمة تصل بين البحيرتين تعرف باسم قناة ولاند، ويمكن للسفينة أن تصعد فيها من بحيرة انتاريو المنخفضة إلى بحيرة ايري المرتفعة أو تهبط بالعكس عن طريق سلسلة من الأهوسة . وهو عمل عملاق بكافة المقاييس إذا علمنا أن الفارق بين منسوب البحيرتين يبلغ حوالى ١٠٠ متر .

وقد شهدت هذه المنطقة بعض المغامرات المثيرة، ففى عام

١٨٥٩ نجح لاعب أكروبات فرنسى يدعى بولدان فى عبور الشلالات سيراً على حبل مشدود بينهما، ثم كرر فيما بعد هذه التجربة بأساليب مختلفة أشد إثارة، فيقال إنه عبره معصوب العينين، ثم وهو يحمل رجلاً على كتفيه، وأخيراً وهو يسير على عصوين طويلتين . وفى عام ١٩٠١ وضعت فتاة تدعى آنى تيلور نفسها فى برميل مغلق، وقذفت بنفسها فى المياه فى الجانب الكندى.



الجالية الصينية فى كندا تحتفل برأس السنة الصينية

تورنتو

وتنتهى القناة الصناعية التى تربط بين البحيرتين عند بلدة سانت كاترين، ويتراجع شاطئ البحيرة الكندى في هذه المنطقة فى هيئة قوس يمر بمدينة تورنتو وينتهى عند بلدة أوشاوا، وتعرف هذه المنطقة باسم حدوة الفرس الذهبية، إذ انها تشكل مع تورنتو أهم منطقة صناعية / تجارية فى كندا، وقد استفادت من قربها من شلالات نياجرا والمراكز الصناعية والأسواق المالية الامريكية فى شيكاغو ونيويورك، واجتذبت إليها الاستثمارات من الداخل والخارج، بل ومن اليابان نفسها، ويقدر اليوم أن هذه المنطقة تدفع ٤٣٪ من حصيلة الضرائب فى كندا، بل ان متوسط دخل الفرد فيها أعلى من نظيره فى الولايات المتحدة نفسها . وتعتبر بورصة تورنتو التى تتداول أسهم أكثر من ١٦٠٠ شركة أكبر سوق مالية فى كندا، وإذا كانت مونتريال توصف بمدينة الكنائس، فإن تورنتو توصف بمدينة المصارف إذ يزيد عدد بنوكها المحلية والأجنبية على الخمسين، رغم أن عدد سكان المنطقة لا يزيد على ٣ ملايين نسمة. ولكن عدد السكان آخذ فى الارتفاع، لأن تورنتو وضواحيها تجتذب ثلث عدد المهاجرين الذين تقبلهم الحكومة الكندية فى كل عام .



مدينة تورنتو وبرجها الذى يعد أعلى برج فى العالم

وقد أسس الفرنسيون هذه المدينة عام ١٧٤٩، ثم استولى عليها الانجليز بعد ذلك بعشر سنوات وأسموها بقلعة يورك، وتغير هذا الاسم عام ١٨٣٤ إلى تورنتو ثم اختيرت عام ١٨٦٧ لتكون عاصمة لولاية أنتاريو، وهنا بدأ نجمها فى الصعود خاصة بعد بدء مشروعات توليد الكهرباء الضخمة من المساقط المائية . ومما ساعد على اجتذاب الاستثمارات الأجنبية إليها ونجاح الأنشطة التجارية والمالية فيها استتباب الأمن فيها، إذ أن معدلات الجريمة فيها من أقل المعدلات فى العالم . رغم أنها تجاور شيكاغو التى ما زال اسمها حتى اليوم يقترن فى الأذهان بالجريمة المنظمة والحروب الدموية بين العصابات .

وعلى النقيض من الفكرة الخاطئة الشائعة عن انتشار الانحلال الأخلاقى والبعد عن الدين فى المجتمعات الغربية، وهى فكرة مستمدة من أفلام السينما وصحف الإثارة، نجد فى المجتمعات الغربية جماعات دينية شديدة التمسك بتعاليم المسيحية، وبعضها يغالى فى ذلك إلى حد رفض الكثير من مظاهر الحضارة، ومنها طائفة المنونيون التى يبلغ عدد أفرادها حوالى المليون يعيشون فى الولايات المتحدة وكندا، وهم لا ينزعون إلى الاشتغال بالوظائف

العامة ويفضلون العمل بالزراعة، ولكن التزمت يدفعهم فى بعض الأحيان إلى رفض استخدام الحاسبات الآلية أو التعامل مع الحكومة فى برامج الخدمة الاجتماعية أو الأنشطة التعاونية، وهو ما يذكرنا بموقف بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة فى عالمنا العربى.

ومن أهم معالم مدينة تورنتو التاريخية حصن يورك (١٧٩٣) ومبنى البلدية القديم (١٨٩١) وبه برج للساعة ارتفاعه ٩١ م وتباهى تورنتو الآن ببرجها الحديث الذى يعتبر أعلى بناء حر الجوانب فى العالم (٥٥٣ م) ويعادل ارتفاعه الهرم الأكبر في مصر أربع مرات أو برج أيفل فى باريس مرتين تقريباً .

أوتاوا

ومن تورنتو يمتد الطريق إلى العاصمة الاتحادية أوتاوا عبر المزارع والغابات التى تشتد تكاثفاً كلما اقتربنا من العاصمة التى تقع على نهر أوتاوا، ومنه استمدت اسمها، ويشكل هذا النهر الحد الفاصل بين كيبك وأنتاريو أو بين كندا الفرنسية وكندا الانجليزية،

ومن ثم كان أنسب المواقع لاختيار عاصمة الدولة الاتحادية .

وتقع المدينة عند نقطة التقاء هذا النهر بنهر جاتينو، وكان أول من استكشف هذه المنطقة من الأوربيين صمويل شامبلين، مؤسس مستعمرة كيبك، عام ١٦١٣، وقد بهرته شلالات النهر فأطلق عليها اسم شوديير، أى الغلاية، لأن رذاذ الماء المتصاعد منها يشبه البخار . واجتذبت هذه المنطقة تجار الفراء فى بادئ الأمر، وازدادت أهميتها عندما قررت الحكومة الانجليزية عام ١٨٢٦ حفر قناة ريدو من نهر أوتاوا حتى بحيرة أنتاريو لاستغلالها فى الدفاع عن المنطقة ضد أى هجوم محتمل من الولايات المتحدة، ولكن هذه القناة يسرت المواصلات، وساعدت على استغلال ثروتها الطبيعية من الأخشاب . وسرعان ما تأسست على الضفة الجنوبية للنهر مستعمرة صغيرة عرفت باسم « باى تاون » أو مدينة باى على اسم المهندس الانجليزى جون باى الذى أشرف على حفر القناة .

ثم اختيرت هذه المدينة عام ١٨٦٧ لتكون عاصمة للاتحاد الكندى عند تأسيسه بعد أن تغير اسمها لتحمل اسم النهر الذى يرمز إلى وحدة كندا . ورغم أن أوتاوا هى مقر الحكومة الاتحادية

لبلد هائل ككندا، لكن عدد سكانها لا يزيد على ٣٠٠ ألف نسمة، والسبب فى ذلك أنها قصرت نفسها على النشاط السياسى والثقافى، أما الأنشطة المالية والتجارية فقد تركتها للمراكز الحضارية الكبرى مثل مونتريال وتورنتو .

وتجمع المدينة بين العمائر الحديثة التى اقيمت من المعادن والزجاج على غرار المدن الأمريكية وبين الطرز الكلاسيكية وأبرزها الطراز القوطى الذى ساد فى العصر الفيكتورى . وتمتاز مبانى هذا الطراز بالأبراج العالية والجدران السميكة التى تضفى عليها هيئة القلاع، ومن أبرزها مبنى البرلمان الاتحادى ببرجه الشاهق (٨٨ م) وفندق شاتولوريه الذى يحسبه الزائر قلعة من قلاع فرسان العصور الوسطى .

وعلى الضفة الأخرى من النهر تقع ضاحية هل التى تنتمى إلى ولاية كيبك إداريًا، وأغلب سكانها من الناطقين بالفرنسية وإلى الجنوب منها ضاحية أخرى تعرف باسم جاتينو على اسم النهر الذى يصب فى مجرى أوتاوا هناك . وبها مناشير الخشب ومصانع الورق التى اكسبت المدينة شهرتها فى الماضى .

الأراضى الشمالية ويوكن

يمثل هذان الاقليمان بقفارهما الثلجية الموحشة التى تمتد إلى عمق المحيط المتجمد الشمالى طرف النقيض لسهول البحيرات العظمى بأرضها الخضراء الخصبة ومدنها الصناعية العامرة . ويشغل هذان الاقليمان ٤٠٪ من مساحة كندا أو ما يعادل مساحة مصر كلها أربع مرات، ورغم ذلك فلا يكاد مجموع سكانهما يتجاوز التسعين ألفا، ثلثاهما من قبائل الاسكيمو والهنود الرحل الذين يعيشون على صيد الأسماك والحيوانات البحرية والرنة .

والمناخ شديد البرودة طيلة العام، إذ لا تزيد درجة الحرارة فى فصل الصيف على ١٥ درجة مئوية فى الجهات الجنوبية، أما فى فصل الشتاء فهى دون الصفر وقد تهبط إلى ٣٠ درجة تحت الصفر . وتتجمد مياه السواحل الشمالية فتصبح الجزر المتناثرة (مثل بافن وفيكتوريا وديفون وبانكس) جزءاً واحداً مع اليابسة . أما فى فصل الصيف القصير، فيذوب الجليد فى مناطق التندرا جنوب الدائرة القطبية، وتتدفق من الجبال الأنهار لتغذى البحيرات الضخمة التى تملأ المنطقة، وأهمها بحيرتا جريت بير (الدب الكبير)

وجريت سليف (العبد الكبير) التى تقع عليها عاصمة اقليم الأراضى الشمالية الغربية مدينة يلونيف (السكين الأصفر)، وهى أسماء قد تبدو غريبة لنا، ولكنها تعبر عن طبيعة المنطقة التى يتألف معظم أهلها من الصيادين .

ويستمد اقليم يوكن اسمه من النهر الكبير الذى ينبع من الجبال الغربية ويفيض فى أراضى ألاسكا فى الشمال الشرقى . وقد ظلت هذه المنطقة النائية شبه مهجورة حتى اكتشف فيها الذهب فى أواخر القرن التاسع عشر فى منطقة كلونديك، وسرعان ما أقبل الباحثون عن الذهب من داخل كندا وخارجها، وأسس المنقبون مدينة وايت هورس (الحصان الأبيض) التى أصبحت فيما بعد عاصمة للاقليم، ولكن هذا الازدهار لم يستمر طويلا إذ بدأ انتاج الذهب فى التدهور، وأخذ المهاجرون الجدد فى الرحيل عن المنطقة.

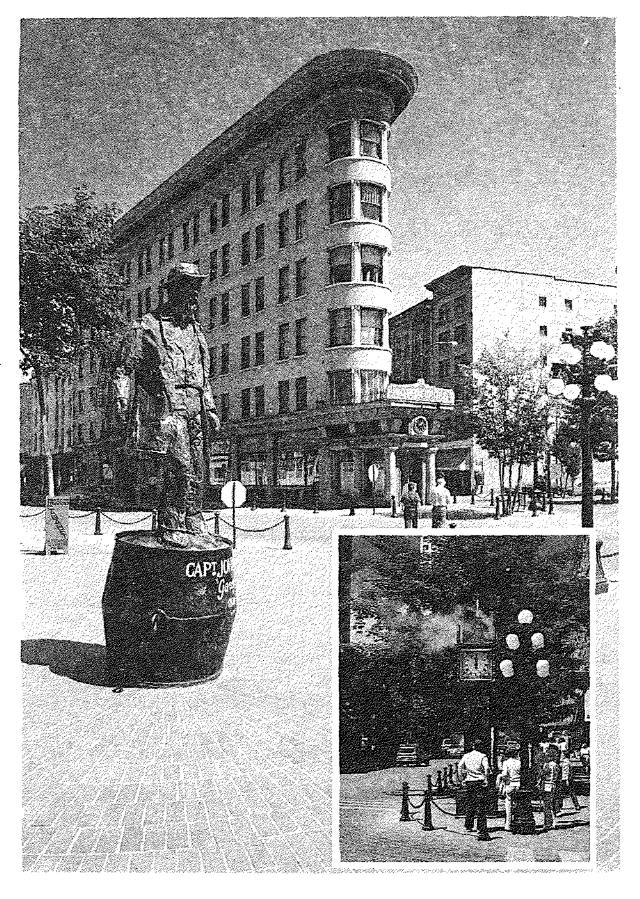
ورغم ذلك فقد اثبتت عمليات التنقيب أن هذين الاقليمين النائيين يزخران بثروات معدنية هائلة فى باطن الأرض، لكن ألوف السائحين الذين يجتذبهم الجمال البكر لهذه المنطقة التى لم تلوثها يد الإنسان بعد، وعشاق الصيد الذين يقبلون على ممارسة

رياضتهم فى غابات وجبال ذلك الاقليم ربما لا يرحبون كثيراً بالتوسعات العمرانية المنتظرة إذا بدأ استغلال تلك الثروات على نطاق واسع .

الطريق إلى فنكوفر

من منطقة البحيرات العظمى حتى جبال روكى الشاهقة التى تحف الساحل الغربى لأمريكا الشمالية تمتد سهول منبسطة واسعة تعرف باسم البرارى، وكانت فى الأصل مراعى طبيعية تكسوها الأعشاب الغزيرة وتعمرها قطعان البيسون (الثور الأمريكى) التى أبادها المستوطنون الجدد بأسلحتهم النارية .

وتستغل هذه الأرض الواسعة الآن في انتاج الحبوب وعادة ما يحرث الفلاح الأرض قبل الشتاء، ثم يتركها ليسقط عليها الجليد، وبعد أن يذوب ويروى الأرض بمائه يبذر الحبوب وينتظر حتى يجنى محصوله . والمزارع ضخمة وتقدر بمئات وأحيانا آلاف الأفدنة . ويعتمد الفلاح اعتماداً كليًا على الآلات، ولولا ذلك لما أمكن لفلاحى كندا، وعددهم لا يزيد على ٤٪ من السكان، أن يزرعوا عشرات



تمثال جاسى جاك فى جاسى تاون «فنكوفر»
وفى الصورة السفلى الساعة البخارية فى جاسى تاون

الملايين من الأفدنة التى جعلت من بلدهم من أكبر المنتجين الزراعيين فى العالم .

وتتوزع أراضى البرارى على ثلاث مقاطعات، أولها مانيتوبا التى تتخلل أرضها مجموعة من البحيرات الضخمة أكبرها بحيرة وينيبج، وتعنى بلغة الهنود الحمر من سكان المنطقة : الماء المشبع بالغرين، ومنها ينبع نهر نلسن الذى يصب فى الشمال فى خليج هدسون الكبير . وقد أعطت هذه البحيرة اسمها لعاصمة المقاطعة مدينة وينيبج . وكانت هذه المدينة النقطة التى انطلق منها المستكشفون والمستوطنون الجدد لإعمار الاقاليم الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر .

والمقاطعة التالية هى ساسكاتشوان، واسمها هندى أيضاً، وربما كان اسماً لنوع من الفاكهة كان ينمو على شاطئ النهر الذى يحمل هذا الاسم والذى يخترق أرضها قادماً من جبال روكى فى أقصى الغرب بعد أن يعبر أرض مقاطعة ألبرتا التى تتميز بخصوبتها الشديدة ووفرة ثرواتها المعدنية لاسيما الفحم (٢٥٪ من انتاج كندا) والبترول (٨٥٪ من الانتاج الوطنى) وتغطى الغابات

الطبيعية أكثر من ثلث أراضيها، لاسيما على منحدرات جبال روكى التى ما تزال تحتفظ بجمالها الطبيعى البكر . ويخترق القطار هذه الجبال العالية التى تمتد على طول الساحل الأمريكى الغربى من المكسيك حتى ساحل آلاسكا وأعلى قممها في كندا جبل رويسون (٣٩٥٤ م) .

وتؤلف هذه الجبال الشاهقة القسم الأكبر من مقاطعة كولومبيا البريطانية التى تمثل الحد الغربى الأقصى لكندا، وتمتد أراضيها على ساحل المحيط الهادئ بين الولايات المتحدة من الجنوب واقليم يوكُن فى الشمال، وكان هذا الاقليم فى الأصل جزءاً من أراضيها.

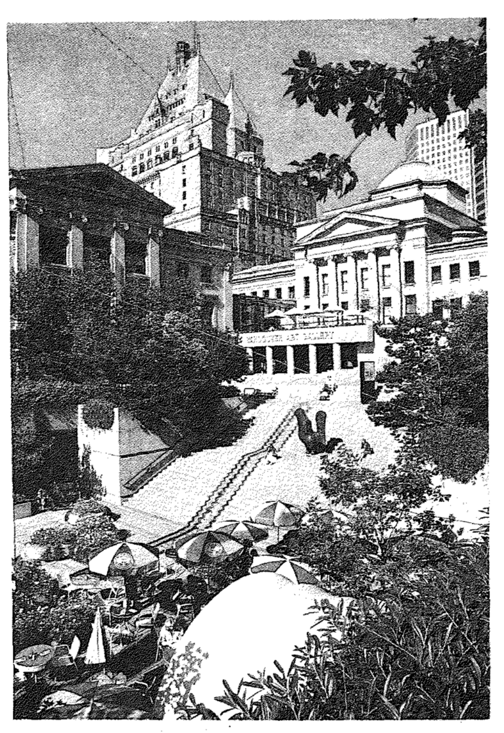
وعاصمة هذا الاقليم، فيكتوريا، تقع فى جزيرة فنكوفر التى تمتد قبالة الساحل الغربى، وهى جزيرة ضخمة تكاد تعادل فى مساحتها أرض وادى النيل ودلتاه (٣٢ ألف كم مربع) وتغطى الغابات الصنوبرية جبالها التى تحيط بالمدينة الصغيرة الانيقة، التى مازالت مشبعة بالطابع الانجليزى فى طرازها المعمارى العتيق وفى أسلوب تنسيق حدائقها وفى لكنة أهلها البريطانية، بل ويستخدم أهلها نفس سيارات الباص الحمراء ذات الطابقين التى اشتهرت بها مدينة

لندن، كما أن بعض أهلها المنحدرين من أصول اسكتلندية ما زالوا يحافظون على زيهم التقليدى، وهو التنورة التى تصل إلى مستوى الركبتين، ويمكنك أن ترى فى الاحتفالات فرق موسيقى القرب الشهيرة وهى تجوب شوارع البلدة بهذا الزى .

ولكن أهم مدن المقاطعة هى فنكوفر التى تقع على ساحل القارة قبالتها . وقد أنشئت هذه المدينة عام ١٨٦٥ لتكون مركزًا لتجارة الخشب، ولكنها لم تبدأ فى الازدهار الحقيقى إلا بعد أن اكتمل مشروع خط السكك الحديدية الذى ربطها بمدينة مونتريال فى الشرق عام ١٨٨٥، وقد نمت المدينة بسرعة حتى أصبحت اليوم الميناء الأول لكندا (وتليها مونتريال) وثالث أكبر المدن من حيث عدد السكان ومن حيث النشاط الاقتصادى والتجارى .

ومن الطريف أن اسم المدينة الأصلى كان « جاسى تاون »، أى « مدينة الغاز » حرفيًا، ولكن هذه التسمية لا شأن لها بالغاز الطبيعى أو البترول، بل إن المقصود بها هو الثرثرة الفارغة، وقد سميت بهذا الاسم فيما يقال بسبب أحد مواطنيها الأوائل، وكان رجلاً سكيرًا ثرثارًا، فأسماه الناس « جاسى جاك » أو جاك الثرثار

أو « الفاضى » كما نقول فى مصر . وقد أعدت سلطات المدينة نموذجًا للمدينة القديمة بشوارعها وحوانيتها ومطاعمها قرب ساحل البحر، وأقامت فى وسطها تمثالاً طريفًا « لجاسى جاك » يصوره فى ثيابه الرثة واقفًا فوق برميل من الويسكى، ومن أعجب مشاهد هذه المدينة القديمة ساعة ميدان تعمل بالبخار كالقطارات القديمة .



متحف الفنون فى فونكوفر بعمارته الكلاسيكية الرصينة

وتوجد بالمدينة جالية صينية كبيرة تختص بحى لها يعرف بتشينا تاون أو « المدينة الصينية »، ويحتفل أهله بمطلع العام الصينى بإقامة مهرجان كبير يصنعون فيه قناعًا ضخمًا بوجه تنين ويلبسه رجل ويسير خلفه طابور طويل من الشباب، ويغطون أنفسهم بثوب أحمر طويل وكأنهم جسد التنين، ويسير التنين فى الشوارع وهو يتلوى ويرقص على انغام الموسيقى فى مشهد بهيج .

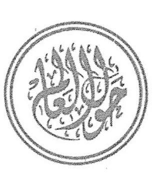
وكثيرًا ما تخصص المدن فى أوربا وأمريكا مساحات من الغابات الممتدة حولها لتكون متنزهات عامة *(Park)*، وتختلف هذه المتنزهات عن الحدائق من حيث إنها تترك بلا تنسيق أو تدخل من جانب الإنسان إلا بالقدر الضرورى الذى يكفل الحفاظ عليها، وتفرض السلطات حمايتها على حيواناتها وأشجارها فتمنع الصيد فيها أو البناء أو قطع الأشجار . ومن أشهر هذه المتنزهات فى كندا متنزه ستانلى فى مدينة فنكوفر الذى يمتد على مساحة ٥٠٠ فدان تقريبًا، وبه بحيرة تعيش فيها القنادس، وهى حيوانات من فصيلة القوارض وتشبه السنجاب ولكنها أكبر حجما ولها ذيول كبيرة، ولا تعيش هذه الحيوانات على اليابسة، بل تفضل أن تبنى بيوتها فى الماء، فتقوم بقرض جذوع الأشجار بأسنانها الأمامية

الحادة، وتدحرج الجذوع إلى الماء لتبنى البيت . وكانت هذه القنادس منتشرة فى الماضى، ولكن فراءها الثمين جعلها مطمعًا للصيادين . وكان التجار البيض يخاطرون بحياتهم ويتوغلون فى أعماق الأراضي الكندية لمقايضة بضائعهم على فرائها، ومع استعمال الأسلحة النارية فى الصيد تناقصت أعدادها إلى حد بعيد .

وفى أقصى طرف المنتزه يمتد جسر معدنى عملاق يربط المدينة بالضفة الأخرى للخليج الذي يشكل مرفأها، ويعبر الجسر فتحة المرفأ على ارتفاع يسمح للسفن بالمرور من تحته دون عائق . ورغم أن طول هذا الجسر يزيد على ١٢٠٠ م لكنه لا يستند إلا على برجين كبيرين من الصلب يزيد ارتفاع كل منها على ١٢٠ م تقريبًا، ويحمل هذا البرجان الجسر عن طريق دعامات علوية بحيث لا يحتاج الجسر إلى دعامات سفلية أخرى قد تعوق الملاحة .

وبالقرب من هذا الجسر الذى يعتبر أحدى معجزات التقنية المعمارية الحديثة توجد مجموعة من النصب الطوطمية التى تصور حيوانات وشخوص الأساطير الهندية القديمة، والكنديون كغيرهم

من أبناء الدنيا الجديدة مولعون بكل ما هو قديم أو بدائى مهما كانت بساطته، فتراهم يحافظون على أكواخ الصيادين ومنقبى الذهب المهجورة ويعاملونها بإجلال تحسدهم عليه الأهرامات ومعابد الكرنك عندنا رغم أن عمرها قد لا يزيد على مائة عام، وهو أمر إن دل على شئ فهو يدل على وعى حقيقى لدى أبناء ذلك البلد بقيمة الماضى وأهمية الحفاظ على التراث وهم يشقون طريقهم صوب المستقبل .



استراليا
كندا
اسبانيا
تركيا
الهند
الصين
اليابان
اندونيسيا
ايطاليا
البرازيل
بيرو
تونس
عمان
بلجيكا
جنوب افريقيا

